المثقف الرؤيوي نوري عبد الرزاق (1)

الذاكرة التاريخية والفرادة الفكرية

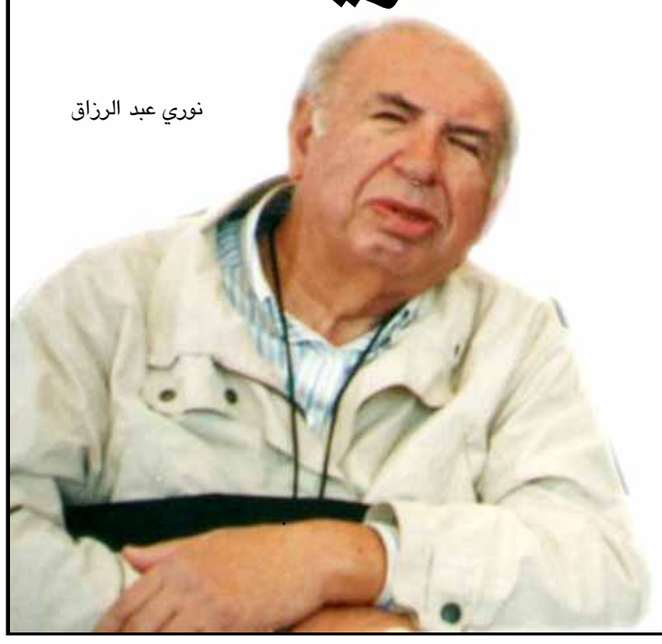
نوري عبد الرزاق

عبد الحسين شعبان

بيروت

في الذاكرة والحوار

الحوار مع مثقف رؤيوي مثل نوري عبد الرزاق لا يزوّدك بمعرفة فحسب، بل يفتح أمامك آفاقاً للمستقبل بما يمتلكه من فكر منفتح وتجربة غنيّة وخبرة عملية، وبعد كل ذلك ففيه متعة ، حين تستكشف التاريخ وتقلّب صفحاته بذاكرة خصبة، وتجادل فيه كأنه حاضر وتتّفق وتختلف ، كأنك تضع برنامجاً للمستقبل .

حواراتي مع نوري عبد الرزاق متّصلة ومنفصلة، لكنها لم تنقطع منذ أول لقاء لي معه في منزله بالكرادة ببغداد يوم عاد إلى العراق (العام 1969) بعد غربة ثانية دامت ثماني سنوات 1968-1960 وكانت غربته الأولى قد شملت معظم أعوام الخمسينات حتى ثورة 14 تموز (يوليو) 1958 ابتدأها للدراسة في بريطانيا، وبعد فصله بسبب موقفه المناوئ لحلف بغداد، هو ومجموعة من رفاقه ، استقر في القاهرة بعد أن تنقّل في عدد من العواصم الأجنبية والعربية، وفي القاهرة ساهم في تأسيس رابطة للطلبة العراقيين، وأقام علاقات عميقة مع قوى اليسار المصري بتياراته المختلفة.

وبُعيد عودته إلى بغداد من مهماته كسكرتير عام لاتحاد الطلاب العالمي في براغ، قرأت له مقالة عن "تشي جيفارا" ولقاءاته به، نشرها في "مجلّة الراصد" ، وتزامناً معها كتب عامر عبدالله دراسة نقدية عن "حرب العصابات" و"الطريق الجيفاري"، استناداً إلى رؤية الحركة الشيوعية ومركزها الأممي " موسكو" نشرتها "مجلة الثقافة الجديدة"،ومنذ اللقاءات الأولى شعرت أنني أمام شيوعي من طراز مختلف، فهو منفتح ومتواصل مع الآخر، بما فيها التيارات المتنوعة، فضلاً عن الاجتهادات المتباينة داخل الحركة الشيوعية واليسارية ذاتها، كما إن عقله نقدي وذاكرته منظّمة وفكره مبرمج باتساق ولكن بمرونة عالية، مثلما وجدت في مساهمات عامر عبدالله وجرأته إضافات فكرية مهمة وومضات تنويرية جديرة بالتأمل، وهو ما دوّنته عنه في كتابي " عامر عبدالله – النار ومرارة الأمل – دار ميزوبوتيميا، بغداد ، 2013.

وفكّرت مع نفسي لماذا لم ينشر نوري عبد الرزاق مقالته في مجلة "الثقافة الجديدة" وكان عضواً في رئاسة تحريرها؟ ولكنني توصلت بعد حين إلى استنتاج كنت قريباً منه، وهو التواصل مع الآخر والتفكير ليس في القريب والمتناول والسهل حسب، بل في البعيد والصعب وغير المألوف أيضاً، لأن دائرته واسعة وليست من جنس واحد أو قماشة محاكة من نسيج واحد، فالجمهور الذي يريد أن يخاطبه ليس "جمهورنا" فحسب، بل الجمهور الآخر، وزادني في الأمر قناعة، حين وجدت نفسي في خضم آخر ومحيط عربي يتطلّع إلى سماع رأي ، وهو ما صممت عليه وتواصلت معه.مناضلون كثيرون في الحركة الشيوعية، أشدّاء وصلبون، لكن غالبيتهم الساحقة محدودة التفكير و" محلية" بالدرجة الأساسية، لاسيّما في ظروف العمل السري القاسية، ناهيك عن عقلهم المسلكي، لذلك من الصعوبة بمكان العثور على مثقفين رؤويين إلّا على قدر محدود جداً، خصوصاً بمؤهلات قيادية وكارزمية ضرورية، وحتى هؤلاء وإن امتلكوا ثقافة واسعة لكنه قد تعوزهم المواصفات الأخرى، وهذه تتعلق بالتكوين الشخصي والجرأة في اتخاذ المواقف وتحمّل تبعاتها، فضلاً عن القدرة على التقاط الجوهري من الأشياء، وقد كان نوري عبد الرزاق واحداً من أبرز هؤلاء المثقفين الرؤيويين، فتفكيره بلا ضفاف وهو من الشخصيات الشيوعية المنفتحة على الجديد بلا حدود، فضلاً عن ثقافته الموسوعية المتجدّدة والمتفاعلة مع محيطها بقراءة اللوحة الكونية ببعدها الشاسع.

تنوّع لا يمكن جمعه

فإذا حدّثته عن الحزب الشيوعي وتاريخه سيكون الأول بلا منازع، سواءٌ عاش الأحداث أم لم يعشها، لكنه يحفظها عن ظهر قلب ويدقق فيها ويتفاعل معها ضمن عقله النقدي، ومثل هذا الأمر يتعلّق بشخصيات وازنة من الحركة الوطنية العراقية برموزها المختلفة، بمن فيهم رجالات العهد الملكي، وإذا ذهبت معه إلى الفنون والآداب ستراه مبرّزاً، ولا يمكن أن يغفل أو ينسى فيلماً مشهوراً أو مسرحية عالمية أو مقطوعة موسيقية مائزة، أو كتاباً نظرياً في الفلسفة التي كان ميله إليها أكثر من الاقتصاد، وهو ما حبّبه بكارل ماركس أكثر من كتاب " رأس المال".

عبد الحسين مع نوري عبد الرزاق

وإذا قصدت استفزازه بالانحياز إلى نادي برشلونة أو ريال مدريد، فسيحدثك عن كل تطورات لاعبيه وانتقالاتهم من رونالدينو إلى أنيستا إلى ليونيل ميسي إلى بوبرتو كارلوس وزين الدين زيدان ورونالدو ، أما اللاعبين العالميين فكان اسم بوشكاش المجري وبيليه البرازيلي وفرانس بيكفوا الألماني ويوهان كوريتي الهولندي ضمن دائرة اهتمامه، ولأنه كما يقول اللبنانيون "عييش" أي يحبّ الحياة، سينقلك إلى أشهى الموائد وأطيب الأطعمة وأفخر الخمور وأرقى المطاعم، وذلك لترفه الروحي وألق حياته وأسفاره والمدن والثقافات التي عاش في كنفها أو اطّلع على حياتها.والحديث عن المقاومة الفلسطينية وانطلاقتها والعلاقة مع أركانها ورموزها، ستكون حافظة نوري عبد الرزاق ومعايشته هي المعيار، وإذا كان الكلام عن اتحاد الطلبة والشبيبة الديمقراطية (عراقياً أو عربياً) ثم دولياً، فلا أظن أن أحداً من الأحياء أو ممن غادرونا له مثل هذا الباع في العمل الديمقراطي بمختلف فروعه، فضلاً عن حركة السلم ولجنة الدفاع عن الشعب العراقي التي ترأسها الشاعر الكبير الجواهري في العام 1963 بعد انقلاب 8شباط (فبراير).

أما إذا رغبت في معرفة خفايا الحركة الشيوعية الدولية، ولاسيّما الاتحاد السوفييتي، والصراعات والمؤامرات داخل صفوفها فسيكون نوري هو الأول الذي لامس واطّلع على أسرار وخبايا وخطط منظورة وغير منظورة، وهو على حد علمي الأكثر معرفة بأوضاع الأحزاب الشيوعية العالمية، من الحزب الشيوعي البريطاني إلى الحزب الشيوعي المصري بكتله المختلفة إلى الأحزاب الشيوعية العربية والأوروبية، وستكون شخصيات مثل سوسلوف وبوناماريوف وإدريس كوكس وخالد بكداش وميشال كامل واسماعيل صبري عبدالله وسمير أمين وكريم مروّة وفؤاد نصار وبشير البرغوتي وعبد الخالق محجوب وعبدالله العياشي ونديم عبد الصمد وجورج البطل وجورج حاوي وفايق ورّاد، إضافة إلى رؤساء وشخصيات بارزة مثل بريجينيف وماوتسي تونغ ونوفوتني وجيفكوف وحافظ الأسد والقذافي وعلي ناصر محمد وعبد الفتاح اسماعيل ومحمد أنور السادات وحسني مبارك وأحمد حسن البكر وصدام حسين والملك حسين والأمير الحسن بن طلال والملك الحسن الثاني ورفيق الحريري والشيخ زايد وعمر حسن البشير، على معرفة بهم أو تماس معهم.

ومشكلة نوري عبد الرزاق هو رأيه، وإن كان يقلّب الأمور كثيراً، وأحياناً يتردّد وينتظر لكن رأيه يكون متميّزاً وعميقاً، وإن كان لا يجابه ولا يتحدّى، فهو بطبيعته وسطياً ومعتدلاً ولا يميل إلى الصدام، لكن ذلك لا يرضي المتنفّذين، بل يزيد من سخطهم وغضبهم أحياناً، لأنهم لا يجدون مبررات كافية لدحضه.

أستطيع القول إن مزاجه ليس عراقياً بمعنى لا يغضب ولا يحتدّ ولا يشاكل وإن أخطأ لا يكابر ويعود ويعتذر، وأعرف ذلك عن قرب ودراية، وتلك مشكلته في مواجهة الكثير من الصقور، الذين وإن يقدّرون مواهبه وخصاله، بل يمتدحون سجاياه، لكنهم يريدونه على مقاساتهم ، وهو أكبر من أن يُحتوى أو ينضوي تحت عباءة أحد، ولعلّ هذا ما عرفته وشاهدته بنفسي في الكثير من المرّات حين يتوجه إليه "مسؤولون" ويهملون آخرين في سلّم المسؤوليات التقليدية أعلى منه، وهذا ما يثير حسد وحنق بعض المتنفذين، الذين يريدون إعلاء كعبهم وإطالة أعناقهم ، لكن مشكلة نوري عبد الرزاق، ليست مشكلته، بل هي مشكلة الآخرين، إلّا أنه هو من يدفع ثمنها ويسدّد فواتيرها.

التميّز والشجاعة

لم يكن أكفأ منه حين انتصرت ثورة 14 تموز (يوليو) 1958 من تولّي رئاسة اتحاد الشبيبة الديمقراطي في العراق 1959 ولم يجد اتحاد الطلاب العالمي حين عقد مؤتمره في بغداد العام 1960 أجدر منه فاختاره سكرتيراً عاماً للاتحاد، ومكث نحو 8 سنوات في موقعه، وحين أقام الحزب الشيوعي علاقة مع منظمة فتح ومع ياسر عرفات (أبو عمّار) كانت عبر نوري عبد الرزاق، ويوم وجّه ياسر عرفات الدعوة للحزب لزيارة المخيّمات واللقاء بالفدائيين الفلسطينيين كتب في رسالة الدعوة، على أن يكون من ضمن الوفد نوري عبد الرزاق، لكن نوري مع ثقة أبو عمار به وصداقته له لم يخف آراءه عنه، ولم يتردّد في إبداء ملاحظاته بخصوص "سلوك" المقاومة وازدواجية السلطة في عمان قبل أيلول (الأسود) 1970 وكذلك في لبنان قبل وحتى بعد اتفاق القاهرة 1969 ومن ثم في فترة جمهورية الفاكهاني.

وعلى الرغم من الصراعات في منظمة التضامن الأفرو- آسيوي والخلافات الصينية – السوفيتية ومشاكل التيارات الثورية الجديدة وموضوع قبول أمريكا اللاتينية لتأسيس منظمة القارات الثلاث باقتراح من جيفارا والمهدي بن بركة وأحمد بن بلّة، لكن التحاق نوري عبد الرزاق بالتضامن الأفرو- آسيوي في العام 1971 ساهم في استيعاب هذه الخلافات وكان المفتاح الذي يصلح للدخول على الجميع، بحكمته وهدوئه وطول نفسه وترفّعه عن الانحيازات، ولهذا كسب ثقة الجميع، ربما إلّا أصحابنا العراقيين، فالسلطة في العراق كانت تريده أن يميل لصالحها، خصوصاً بعد اندلاع الحرب العراقية- الإيرانية، وقيادة الحزب الشيوعي العراقي تريد منه اتخاذ مواقف تنسجم مع توجهاتها، وتلك أزمة عسيرة لمن لا يفهم العمل الحقوقي ولا يتفهّم طبيعة العمل في المنظمات الدولية ذات المشارب والاتجاهات المختلفة والتوازنات والاستقطابات المتعدّدة والتي تحتاج إلى حصانة خاصة وحصافة متميّزة، لكن ذلك لم يُبعد نوري عبد الرزاق عن المواقف المبدئية، على الرغم من المنغّصات والضغوط ومحاولات الإساءة ، بعقوبات حزبية تعرّض لها ، فضلاً عن جحود وإهمال، وفي الوقت نفسه تعرّضه إلى ضغوط وملاحقات حكومية، وصلت إلى حدّ محاولة الاغتيال أو التهديد بها، رغم علاقاته الوثيقة مع العديد من القيادات البعثية.

رؤية استراتيجية وبعد نظر

وحين شعر أن الحرب العراقية – الإيرانية، تجاوزت الخطوط الحمراء، وإن المشروع الحربي والسياسي الإيراني أخذ باختراق العمق العراقي، لاسيّما باستمرار الحرب دون أفق بالتوقف، ملحقة المزيد من الخسائر بالأرواح والأموال، تدارس بمسؤولية مع نخبة من رفاقه الشيوعيين واليساريين العراقيين لبلورة موقف رافض للحرب وداعياً إلى وقفها على الفور، وفي الوقت نفسه وضع الحركة الوطنية عند مسؤولياتها في الإتيان بحكم ديمقراطي بديلاً عن الدكتاتورية ودون تدخلات خارجية لفرض النموذج الإيراني.

وهكذا ساهم بفاعلية في التيار العقلاني الهادف إلى نزع الفتيل وإطفاء بؤرة الحرب، متساوقاً مع شخصيات عربية وجدت في مثل هذا التوجه مناسبة لاتخاذ موقف يتسم بالجرأة والشجاعة ، يوم اعتبرت الحرب واستمرارها خدمة للامبريالية والصهيونية، ومن بين الشخصيات التي اتخذت مثل هذه المواقف عبد الرحمن منيف وسعدي يوسف وفوّاز طرابلسي واسماعيل صبري عبدالله وجورج حبش وتيسير قبعة ومحمود عباس " أبو مازن" ونايف حواتمة وعدد من الشيوعيين اللبنانيين والسوريين، إضافة إلى شخصيات أخرى.وإذا كان النظام العراقي قد بدأ الحرب في 22 أيلول (سبتمبر) باختراق الأراضي سبتمبر 1980 الإيرانية، بعد تمزيق اتفاقية 6 آذار (مارس) لعام 1975 المجحفة والمذلّة على شاشة التلفاز يوم 1/ أيلول (سبتمبر)، أي قبل خمسة أيام من اندلاع الحرب الرسمية وعلى يد رئيس النظام العراقي صدام حسين الذي كان هو من وقع تلك الاتفاقية، لكنه اضطر للانسحاب من الأراضي الإيرانية إلى الحدود الدولية بعد هزيمة المحمّرة (خرمشهر) 1982 فإن إيران هي التي استمرت فيها لتنفيذ مشروعها الحربي والسياسي، مستهدفة تغيير النظام في العراق والإتيان ببديل "إسلامي" في حين أن تغيير النظام هو حق حصري للعراقيين الذين يناضلون من أجل بديل مقبول يفتح الآفاق نحو الديمقراطية ، وذلك من مسؤولية الشعب العراقي وحده دون سواه، ولهذا لم يعد السكوت سوى تواطؤاً إزاء مستقبل العراق، وحظي مثل هذا الموقف بنقد من جانب الصقور في بغداد مثلما حظي بنقد، بل واتهام من جانب الصقور في المعارضة، ولاسيّما في التيار المتشدّد في الحزب الشيوعي .ومثل هذا الموقف المتوازن والوطني اتخذه إبان احتلال الكويت، وهو ما يؤكده البيان الذي أصدره هذا التوجه بُعيد احتلال القوات العراقية للكويت في الثاني من آب (أغسطس) 1990وهو ما دعاه لتكثيف التعاون مع قوى وشخصيات وطنية عراقية لعقد اجتماع موسّع يضم شرائح مختلفة ومتنوعة ، وحصل الأمر بدعوة خاصة من صلاح عمر العلي في لندن بعد اجتماعات عديدة، وذلك عشية الحرب العام التي شنّتها قوات1991 التحالف.وقد حظي البيان باهتمام كبير عربياً ودولياً ووقع عليه نخبة من اليساريين والقوميين العرب والكرد بينهم على ما أتذكّر: صلاح عمر العلي وإياد علاوي ومهدي الحافظ ومحمود عثمان وبلند الحيدري وفاروق رضاعة واسماعيل القادري وعادل مراد وموفق فتوحي ومحمد الظاهر وصلاح الشيخلي وعزيز عليّان وعبد الحسين شعبان، وفيما بعد وقعه هاني الفكيكي وآخرين، ولكنه أثار في الوقت نفسه ردود فعل سلبية من جانب التيار المتشدّد حين أطلق عليه صقوره " البيان السيئ الصيت" لأنه دعا إلى سحب القوات العراقية من الكويت واللجوء إلى حلّ سلمي للأزمة وقطع الطريق على القوى المتربصة للهيمنة على المنطقة من أمبرياليين وصهاينة، وهو الموقف الذي واصله نوري عبد الرزاق ورفاقه .

وإذا طالت الأزمة وامتدّت إلى الحصار الدولي، فقد كان رأيه واضحاً إزاء معاناة الشعب العراقي بسبب نظام العقوبات الدولي الجائر، وإنْ تضببت هذه الرؤية بعض الشيء عشية غزو العراق لاعتقاد ذهب إليه كثيرون من أن التغيير الذي سيحصل قد يفتح الباب أمام تحوّلات "ديمقراطية"، لكن مثل هذا التصور كان وهماً وهو ما دحضه الواقع سريعاً، حين تعرّض العراق لاحتلال غاشم أجهز على الدولة العراقية وفتّت كيانيتها ، لكن نوري عبد الرزاق سرعان ما استعاد توجهه واضعاً مسافة بينه وبين ما حصل من متغيّرات، خصوصاً حين سارت العملية السياسية باتجاه التقاسم الوظيفي ونظام المحاصصة الطائفي- الإثني القائم على الزبائنية السياسية والمغانم، وهو ما اضطرّه للانكفاء، وتلك واحدة من استحقاقات العمر ومراجعاته للأخطاء والنواقص، لاسيّما خطأ بعض الاستنتاجات والتقديرات.

جيفارا ونوري عبد الرزاق

سألته عن علاقته بجيفارا ومتى التقاه وما هي انطباعاته الأولى وما بعد ذلك؟ فقال نوري عبد الرزاق، إنه التقى جيفارا مرتين في هافانا، الأولى كانت في العام حين انعقد اجتماع اللجنة 1961 التنفيذية لاتحاد الطلاب العالمي وتقرّر التضامن مع كوبا بإرسال وفود أجنبية طلابية للمشاركة الرمزية في بناء مدرسة، وقد استمرت الزيارة لنحو شهر كامل حيث التقى فيها جيفارا الذي حضر إلى الموقع.وبادرته إلى السؤال هل كان لديك أي تصوّر عن دوره؟ فأجاب كنت قد سمعت به من قبل وعن دوره الكبير من خلال ملاحظة الرفيق رحيم عجينة الذي ذهب بصفته نائباً للسكرتير العام للشبيبة الديمقراطية (حيث كان نوري عبد الرزاق السكرتير العام) بوفد إلى كوبا لحضور اجتماع للشبيبة الشيوعية الكوبية، فقد حدثنا عن عنصر أساسي من أصل أرجنتيني لعب دوراً في حرب العصابات وهو ما يزال يدعو إليها كتكتيك نضالي للعالم الثالث، ولذلك كما يقول نوري كنت متحفّزاً لأن أسمع من جيفارا رأيه مباشرة ، وكانت حينها بعض الخلافات بين التنظيمات الثلاث حركة 26 يوليو (تموز) بقيادة كاسترو وحركة 19 مارس والحزب الشيوعي الكوبي، التي توحّدت فيما بعد باسم الحزب الشيوعي الكوبي. وانطباعاتي الأولى عن جيفارا إنه يمتلك شخصية كارزمية مؤثرة ونافذة وجريئة. يومها كان الخلاف داخل اتحاد طلاب كوبا وهو صاحب الدعوة وبين الشبيبة الشيوعية قائماً.

يتبع

جيفارا

أحمد حسن البكر

ياسر عرفات

الحسن بن طلال

المرجعية الدينية العليا تحجب الخطبة السياسية

يجهل الغالب ممن يدعي الوصل بالمرجعية الدينية العليا ذوقها وحركاتها وسكناتها ، بل يجهل مضامين تعبيراتها ، وكثير منهم يتظاهر بالجهل وهو عالم ما تريد . يقيناً أن الإحاطة بتاريخ حافل امتد لأكثر من الف سنة أمر محال ، بل محال المرور عابراً بتاريخ ثر ، لم يخلو عهد فيه من من مقارعة المستبد والسلطان الجائر ، لكن على المدعي والمتصدي للشأن السياسي والإعلامي اليوم العودة لتاريخ المرجعية الدينية العليا ليس البعيد ولكن من تاريخ تأسيس الدولة العراقية

سنة 1921، ليطلع على تاريخ من نصّب وبارك وقاطع واشترط ثم تصدى حين الاستبداد ، فلم يتوج رئيس في العراق الا بمباركة النجف او بيعتها وفي الأقل صمتها وعدم معارضتها ، ما يفسر مناصبة المتتابعين العداء للنجف ، فالنجف الحصن الحصين الذي لا يداهن ولا يهادن ولا يسكت على ضيم او ظلامة ، كبير شأنك النجف وصغير شأن من اعتقد القدرة على اسكات صوتك الهادر ، واللافت أن ما من حاكم تربع على عرش العراق الا واستبد وأفضلهم خالف ولم يمتثل للنصيحة ، النجف تريد وتطالب وتقارع وتتصدى من اجل الشعب المحتاج والفقير والمريض والضعيف ، وبيتها العتيق الصغير المتهالك المستأجر ذاته في زمن الديكتاتور وفي زمان من ادعى الانتماء والوصل والامتثال ، عجيب أمر من لا يعرف النجف ومن عرفها وراح يقارعها ليس شخصاً ولكن منهاجاً ، النجف لم تقارع بقصد المنصب فليس للمرجع ولا لذريته منصب في الدولة وليس في اجندتها ذلك ، وهي لم تتصدى لخلافة عرش ولكن لرعاية الله بالشعب المظلوم ، وهي لا تملك ارض ولا بيت ولا مزرعة كما سعى الساسة اللاهثون ، ومن يجهل وهم الأغلب ، التحقق من زهدها ، لكنها طالبت وتطالب للفقير ببيت يأويه أو ارض تدر أو نزر يشبع ، ويحدثونك عن الوصل مع المرجع ، ويتساءلون عن غلق باب الوصل ، والاحتجاب عن الخطبة السياسية ، واللافت أن أحد الساسة الذين كثيراً ما ادعى الوصل وغش وظلل وروج لنفسه بدعوى الوصل تنفس الصعداء وهو يسمع حجب الخطبة السياسية في صلاة الجمعة ، بلحاظ أن الخطبة السياسية راحت تدق مضاجعهم وتكشف بؤسهم وترفع الغطاء عن فشلهم وتفضح كذبهم ، وفي تنفس المُعلن ومن اخفى سروره لاحتجاب الخطبة للسياسية حق ، فلم يُنحى حاكم من سدة السلطة بعد سنة 2003 الا بتصدي المرجعية لا لشخصه لكن لمنهجه وعدم إنصافه الرعية ، وفي التنحي الأخير دليل لمن صم الاذان وغض البصر وادعى غير ذلك ، فقد جمعت توقيعات ورفعت شعارات وكثرت الخطب وتوالت الاجتماعات وحكيت الاتفاقات وتقاسمت الوزارات وقبلت ملفات ووزعت الغنائم على بياض ، ولم تنجز المهمة ، وأنجزت كلمات قليلات معبرات في خطبة الجمعة ما عجزت عن فعله أروقة واجتماعات وتجمعات في الداخل والخارج ، تساءل ولما يزل يتساءل البعض وتحديداً من غير الاتباع عن سر قوة التأثير ونفاذ التوجيه والامتثال للتلميح والتصريح وهو اول الممتثلين ، واللافت أن الخارج الذين كان يجهل بشأن الكبير راح يرقب التوجيه كما الداخل بتنوعاته ، ويقيناً أن الإجابة في سر القوة ، الأبوية الشاملة ، فالمرجع ليس أباً راع للشيعي حسب ، لكنه حريص على السني والكوردي والشبكي والمسيحي والصابئي والايزيدي كما الشيعي إن لم يكن اكثر ، بل هو أكثر في كثير المواضع ، ولو أطلع الغالب على بعض ما قدمت النجف للغير لآمن بأبوية المرجع ، وللغير الذي وقف حائراً متسائلاً عن السر في المرجع ، أقول في زهده سر وفي حكمته وتواضعه وترفعه وتساميه وتعاليه وعلمه اسرار وحكم ، والتاريخ المعاش شاهد على بعض الأسرار ، لقد راهن الخارج المخطط على انهار دم تبقى جارية مراقة بتفجير مرقد العسكريين سنة 2006، وما كان من المرجع الأعلى الا أن يدعو الاتباع إلى " ..... ندعو المؤمنين ليعبروا خلالها بالأساليب السلمية عن احتجاجهم وإدانتهم لانتهاك الحرمات واستباحة المقدسات ، مؤكدين على الجميع وهم يعيشون حال الصدمة والمأساة للجريمة المروعة أن لا يبلغ بهم مبلغاً يجرهم إلى اتخاذ ما يودي إلى ما لا يريده الأعداء من فتنة طائفية طالما عملوا على ادخال العراق في أتونها " وبهذا الخطاب المتعقل أطفئت فتنة وقودها النفس التي حرم الله الا بالحق . وهل نسيت الذاكرة قولته التي راحت خالدة في ذاكرة الاعتدال الديني " لا تقولوا السنة اخواننا هم أنفسنا" فألقم بهذه الخالدة افواه كل الطائفيين احجار لا حجر ، بعد أن عمل المحتل جاهدا والباغض المغتاض على تقسيم العراق اطياف واشياع وملل ونحل . ويقيناً أن الذاكرة لن تنسى والمحتل والطامع لن يغفل والتاريخ سجل وسيسجل فتوى العصر التي راحت تدرس في اروقة المدارس الدينية وكبريات الجامعات العالمية والأكاديميات العسكرية والتي قلبت كل الحسابات وأفشلت كل المخططات وإعادة الأمور إلى نصابها بعد ان اصبح العراق قاب قوسين او ادنى من ان يتحول إلى تورا بورا ثانية لتنطلق دولة الظلالة هذه المرة من العراق وتنشر ظلاماتها إلى كل اصقاع الأرض ، وقد اعلنتها صريحة وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق (بل كلنتون) حينما قالت لقد خطط بدقة لكل ترتيبات الإطاحة بالعراق من قبل تنظيم داعش الإرهابي ، لكن أحداً لم يتحسب لشيخ كبير يسكن بيت عتيق في زقاق منسي من مدينة قديمة يقلب كل المخطط بأسطر وكلمات قليلة ، كبير شأنك سيدي وعظيم أثرك ، يامن قارعت المستبد وقاومت المحتل وأعجزت الباغض وتصديت لمخططات التقسيم ، وحفظت الدم ، وصححت مسارات سياسية انحرفت ، ووقفت دوماً إلى صف الشعب المظلوم تطالب له وتدافع عنه وتتصدى لمن اغتصب حقه وسرق ثروته واساء لسمعته وشوه تاريخه ، فسلام لك سيدي يوم ولدت ويوم تصديت ويوم وقفت ذائداً مدافعا.

علي الشكري

بغداد

زك المسؤول وبن زكى

زك تعني البطن باللغة الكردية، وتعني كناية السرقة، وبن زك، تعني العورة او الفرج، وايضا هي كناية عن ممارسة الحرام.

احداهما او كلاهما مصيبة اذا فرط بهما العاقل المكلف المختار بحسب توصيف الشرع والقانون فكيف ان فرط بهما مسؤول، وجعلهما بوصلة تحركه، حينها سيكون وضع اي مجتمع و دولة مشابه لوضع مجتمعنا العراقي وماتبقى من دولته.

لاخطيئة بلا واحد من ضعفين، ضعف امام السرقة مهما اختفت معالم الجريمة او كانت بحيل القانون لاظهارها عملا مشروعا، وضعف امام اغراء الفراش المحرم مهما كان" بعيدا عن مجال الاعين" مثل وصف اختلاء عنترة بعبلة، فكل فعل يستلزم الوقت والمال، وهنا سيكرس المسؤول عقله لمغامرات تنتهي لذتها ويبقى ذنبها كما يصف جعفر الصادق محرم الافعال، لكن القضية الاهم هي ما طال الناس من ضرر وقع عليهم من خيانة المسؤولية التي مارسها فرد يختفي خلف حصانات هي بالحقيقة تعطى لرعاية بطون يجب ان لا تمنع حقها هي بطون الشعب، و اعراض يجب ان تصان ولا تخدش او تنتهك او تجر لما تكره مضطرة او مزين لها.

زك او بطن المسؤول و بن زكى او عورته هما احد شروط من يريد ان يكون رئيسا في احدى رئاسات العراق ومادونها من مواقع في الخدمة العامة، فقصة الجنسية المزدوجة وقصص الولاء للخارج والشجاعة وباقي الشروط العجيبة من رومانسيات الثوار و حيل الاحزاب لن تكون ذات قيمة اذا لم تكن بطنه واسفلها طاهرين، ولكم في وجوه الساحة الحزبية من هو بلا جنسية اجنبية ويعد ايضا من الشباب الوكح كما يحلو للعراقيين لما يمتدحوا احدا، وقد يكون معمما او افنديا، لكنه بطنه مثل بطن الضبع ترتاح للقمامة وفراشه اذا قورن بفراش مومسات البناويين اللواتي انتقصن منهن بعض وجوه الازمة لفاز فراشهن بالطهر وفاز هو بالعهر، ومع ذلك فهو ممن لا يرتجى منه قليل خير للعراق.

احيانا يصاب المسؤول بعجز في اسفل بطنه، وتبقى بطنه تعمل على اكل مايجد وطلب مالا يجد كما تم وصف احد رموز الدولة الاموية، فتحيله بطانته الى فحل جمال وهم معه يأكلون مال الله اكل الابل نبتة الربيع كما وصف علي بن ابي طالب حكم سابقه، وهكذا يكرر الانسان تجربة التعدي على مصالح الاخرين المشروعة بشرعيته العوجاء، غير مبال بكل دروس التاريخ الديني والانساني، وهكذا ايضا يشاد نظام يكرس الجهل والتجهيل والعصبية للدم والسلوك، فتنشئ طبقة لتسحق طبقات و تعلو مخلفة ضحايا من جيل الى جيل، رافعة شعارات حماسية ومفترضة لعداوات مع قوى يستحيل ان تواجهها، ومثال ذلك مشروع الصراع العربي الاسرائيلي الذي اخذ من الدماء والاموال والفكر ما يصعب عده او رده، ليظهر اخيرا ان بناء الجدار العازل الاسرائيلي كان يأخذ مواده الانشائية من شركة يملكها احد اركان جهاز الامن الفلسطيني!نفس القصة الحديثة نفسها القديمة، والصراع لا يعدو فكرة مختصرها" ان طاهري البطن واسفل البطن مثل علي يقتله نجس بطن واسفل بطن مثل بن ملجم بتحريك من متضرر من بقاء علي، ومثل عمر بن عبد العزيز الذي قتله اولاد عمه لانه ساوى الناس بالعطاء، وهو نفس النظام الذي قتل الناس في حلبجة والاهوار وساحات التظاهر قبل اسابيع.

انه نظام لا دخل لقومية ومعتقد ولقب اجتماعي في دفعه للفعل او منعه منه، انها غرائز ان لم تكبح فنتائج اطلاقها كارثية. انها ال" زك" وال"بن زك"!

شامل بردان

أربيل